Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالبصرة[1] والمفضل الضبى الكوفى كان شيخ أبى زيد الأنصارى البصرى ، وأبو عثمان الضرير سعدان بن مبارك الكوفى كان تلميذا لأبى عبيدة البصرى[2] .

ولكن كل هذا لم يَمْحُ الفروق الواضحة بين المصرين ــ فالكوفة ورَثتْ حضارة فارس وروح الشرق المتأمل ، والبصرة لموقعها الجغرافى وَرِثَتْ حضارة اليونان وغيرها من الأمم التى عرفتها كالهند وفارس ، وكانت مركزا لمختلف التجارات فانطبعت نفسية البصريين بالثورة على القيود وخاصة تلك التى تقيد حرية الرأى وتغلل تفتح الفكر ، فرأينا البيئة البصرية كثيرة الاضطرابات السياسية والفكرية ، نزاعة إلى الواقعية المادية ميالة إلى الشك فى المورثات ، تريد معرفة سِرّ ثباتها وكشف جوانب بقائها وعتوها ، ولعل التجارب التى قام بها الجاحظ والنظام على الحيوانات لم يكن مبعثها إلا الشك وَحْدَه فيما توارثه الناس من معلومات عن بعض الحيوان ، وقد عرضوا كثيرا من الأصول للاختبار والتجربة ، فاتجه بعضهم إلى الحديث ينقده نقدا شديدا ، ثم اجترءوا وطعنوا على كثير من الصحابة الأوائل ، بل لقد أسرف بعضهم الآخر فاعترض على القياس الشرعى ، قال ابن عبد البر القرطبى الأندلسى ، كان العلماء قديما وحديثا عندما ينزل بهم أمر ولم يزالوا ، على إجارة القياس حتى حدث إبراهيم بن سيار النظام ، وقوم من المعتزلة سلكوا طريقةً فى نفس القياس ، والاجتهاد فى الأحكام ، وخالفوا مامضى عليه السلف[3] بينما أقدم بعض المعتزلة على القول بإحالة أحكام الإجماع[4] .

وبيئة كهذه مادية شاكة مجربة لابد أن يكثر فيها الجدل ، فقد ساعد على إثارته الفرق الدينية والفلسفية والخصومات العقيدية التى اصطرعت فى البصرة وماحت بها .

وهذا الجانب قَابَلَهُ جانب آخر فى الكوفة ، باطنى يُعْنى بسرائر الوجود لا بظواهر الكائنات ، ويرى وراء كل ظاهرة سرا خفيا من عالم الروح ، أو ماوراء

(١) المصدر السابق ١١/٧٠

(٢) المرزبانى : معجم الشعراء ــ ترجمة مروان بن سعيد بن عياد ٣٢٠

(٣) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله ــ ط مطبعة الموسوعات ــ القاهرة ١٣٢٠ هـ ــ الطبعة الأولى ــ واختصار أحمد بن عمر المحمصانى البيروتى الأزهرى .

(٤) ابن قتيبة ــ تأويل مختلف الحديث ــ ط مطبعة كروستاد العلمية القاهرة ١٣٢٦ هـ الطبعة الأولى (٢١)